مُناقشَات

حول «الماركسية ليست فلسفة انسانية»

بقلم : فراس السواح

قد لا نتخذ من الماركسية مذهبا نرتضيه في حياتنا لاعتبارات كثيرة، وقد نوافق على اعتبارها منهجا لم يثبت صلاحيته دائمـا وفي كل الاحوال . ولكن ذلك لا يمنع من دراستها دراسة موضوعية كفلسفة كبرى ذات اهمية عالية ، مزجت باحداث العالم واستأثرت بجزء كبير منهـا .

وعندما اقول ـ الماركسية ـ اعني افكار ماركس الاصلية المغايرة تماما للتاويلات المشوهة التي اعترضتها عبر التاريخ الحديث . فليس كل ما يحدث في العالم الشيوعي الان ، يمكن استنتاجه راسا من الماركسية العقيدية الاصلية ، كما اننا لا نستطيع ان نقصر الماركسية على الاحزاب الشيوعية ونعتبرها وريثتها الشرعية ، اذ نكون بذلك قد تجاهلنا احزابا اخرى نشأت مستلهمة الفكر الماركسي دون ان تكـون احزابا شيوعية ، كالحزب الاشتراكي الديمقراطي في المانيا .

اما بحث الاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد ، « الماركسية ليست فلسفة انسانية » المنشور في العدد الاسبق من « الآداب » والذي اتخذ صفة نقدية ، فقد تخلى عن روح البحث العلمي ، وسار في نقده على طريقة ميتافيزيقية ، لا تصلح اساسا للفكر المعاصر ، وكان من اول البحث الى اخره ، واقعا في خطا كبير ، خطا المزج بين افكار ماركس الاصلية ، وما اتى به خلفاؤه منذ لينين . وما غرور الماركسية وظنها انها الفلسفة الوحيدة الحقة ، ونزعتها الوثوقية ، تلك الاشياء التـي يتحدث عنها الكتاب في مقدمة بحثه، الا اثر من آثار ذلك الجمود الذي حصل على ايدي مفكري الحزب الشيوعي ، حين تحولت الماركسية الى نظرية رسمية جمدت الفكر الماركسي .

يبدا الكاتب باطلاق الاحكام الصادرة عن تفكير ميتافيزيكي ، لـم تعد له اية مكانة في القرن العشرين فيقول : « ان الانسان اكتشف في الماركسية مبالغة بالتمسك بالعقل ، واكتشف فيها افراطا بالتمسك بالعلم ، رغم ان العلم نفسه يجب ان يوضع موضع التساؤل » .

وهكذا وبكل بساطة يعود الكاتب الى فلسفة (بيركلي) التي هدفت الى هدم ما للاكتشافات العلمية من اهمية ، واعتبارها جوفاء ، غـير منطقية ومتناقضة . ولكن الكلام عن عدم اهمية التمسك بالعقـل ، والشك بقيمة ما توصلت اليه العلوم ، ان كان يصلح للاستعمال في القرن الثامن عشر، فان مكانه ضيق جدا في عصر الذرة وهو لا يستحق حتى المناقشة .

ثم يتساءل الاستاذ مجاهد : « هل الماركسية اصلا فلسفة ؟ ، وهل يمكن ان يعد ماركس فيلسوفا ؟ »

ويتوصل اخيرا الى ان ماركس ليس فيلسوفا ، لان آثاره الفلسفيةلـم تتعد مؤلفين اثنين ، والسؤال الان ، متى كانت قيمة فيلسوفمتعلقة بكمية الكتب التي الفها اثناء حياته ؟ لقد كتب جان بول سارتر اثرا فلسفيا واحدا وهو : « الوجود والعدم » فقط وهو مع ذلك يعتبر من فلاسفة العصر ، ففلسفته مبثوثة في كـل عمل ادبي ظهـر الى الوجود .

وتوصل الكاتب الى ان ماركس ليس فيلسوفا يستتبع بالتاكيد اعتقاده ان الماركسية ليست فلسفة ، وللواقـع ان تعريف الفلسفة شيء صعب ، وهي تؤخذ في كثير من الاحيان بمعان مختلفة تقوم على تباين وجهات النظر الى العالم ، ولو اردنا ان نطابق الماركسية علـى اكثر التعاريف التي اصطلح عليها ، لما خرجنا الا بنتيجة واحدة ، وهي ان الماركسية فلسفة ، ولكنها فلسفة للعمـل لا للتامل ، وهي مذهب كامل في الانسان والطبيعة والتاريخ .

اما قول الكاتب ان ماركس ليس بروليتاريا حتى تكون فلسفتـه للطبقة التي ينتمي اليها ، فهو قول مغرق في الميتافيزية يزيده اغراقا قوله : « ان الانسان لا يمكن ان يعرف معرفة يقينية ما يريده فـرد آخر ، فما بالك ومعرفة ما تريده طبقة باكملها ؟ » .

وهذا يردنا الى ميتافيزية مخربة تنفي المعرفة خارج وعي الفرد . فانا لا اعرف وجود الاخرين الا عن طريق الاحساسات التي تتصورهـم بها روحي ، فلا بد اذن من الناحية المنطقية ان يكون النـاس افكارا في روحي لا اكثر ، وترتيبا على ذلك لا يكون في العالم سوى شعوري انا . وهذا ما يسمى « العندية » اي فكرة وجود « الانا » وحدها . ذلك ما نستنتجه من قول السيد مجاهد السابق ، فهو يعتمد علـى العنديه في نفيه لامكانية تعاطف الفرد مع غيره واحساسه بحاجاته ومتطلباته ، ويزداد اغراقا في اعتماده على تلك الفكرة عندما يتوصل الى القول : « ان ما يجري في داخل ذهنية اي انسان ، سر مستغلق بين الفرد ونفسه ، بل ان الفرد لا يمكن ان يعي عملية ذهنه من جراء ان التفكير نفسه سر . » وهكذا فلا يمكن حسب راي الكاتب لشخص متفوق فكريا ، ان يحس مشـاكل الاخرين ويضع لهـا حلولا تتلاءم وعقليتهم وتفكيرهم ، لانه لا يستطيع ان يدرك تماما ما يريدون . وهذه سفسطة فاق بها كبار فلاسفة ما وراء الطبيعة ، ويترتب عليها نسف اية محاولة ناجحة في مجال علم النفس لاي مدرسة مـن المدارس وخاصة مدرسة التحليل النفسي .

ويقول الكاتب بعد ذلك : « ان ماركس يريد ان يذبح الفلسفة على يديه ، انه يريد ان يحولها من مذهب الى منهج ، يريد ان يحولهـا من مذهب يقرر مجموعة من القضايا حول الانسان والعالم والمصير ، الى منهج يرسم طريقا للتفكير .. »

والواقع ان المنهج من مستلزمات المذهب ، وماركس كان يريد ان ينظر الى الواقع وجها لوجه ، اي فيما وراء المظاهر المباشرة ، وفيما وراء الافكار المضلله ، ومن هنا كان للمنهج عنده اهمية ـ بالغة ولكن ليس الى حد تحول المذهب الى منهج .

وتحت عنوان « منهج ماركس الميتافيزيقي » يقول الكاتب : « هـل الانطلوجيا ـ عند الماركسية سابقة ام نظرية المعرفة ؟ ، مما لا ريب فيه ان التحدث عن اي منهج انما يحمل بذور انطولوجاه .. بمعنى ان الانسان سيكون ميتافيزيا حتى وهو يشتغل في حقل المنهج » .

ينكر الكاتب هنا اثر المنهج في طبيعة المذهب . فلو ان مذهبـا ميتافيزيكيا اتبع منهجا جدليا ، لنسف من اساسه ولم يتبق منـه شيء ، لاعتماده على الغيبيات غير المحسوسة وغير القابلة للادخـال في قوالب العلم . وعلى العكس من ذلك ، لو اننا اتبعنا منهجا جدليا في مذهب مادي ، لوصلنا الى نتائج طيبة ، يتطابق فيها المذهب مـع ما توصل اليه المنهج دون تناقض . فكيف نستطيع بعد ذلك ان نرمي منهج ماركس بالميتافيزيكية ؟

ينتقل الكـاتب بعد ذلـك ليبحث في الجدل الماركسي ، فيعزو اكتشاف الجدل في اليونان ـ القديم الى « هرقليطس » والحقيقة ان اول جدلي يوناني كان « زينون الايلي تلميذ برمنديس » . ويتابع فيقول : « ان الجدل في اليونان ادرك عن طريق حدس صوفي ولهذا فهو لم يتصف بالتفسير التفصيلي ، وذلك لان الواقـع في اليونان القديم لم يتطور التطور الكافي ليضع شروط الجدل .. فاذا كـان الواقـع اليوناني القديم لم يتطور التطور الكـافي ، فكيف تسنى لهرقليطس ان يضع جدله ؟.. بالحدس كمـا يقول الماركسيون .. ولكن الحدس ضد الماركسيين .. فكانهم فسروا الجدل القديم بطريقة تطعن جدلهم هم .. »

والكاتب هنا اما انه يبرهن عن ثقافة ناقصة ، او عن تعام مقصود ، فكلمة « جدل » كما هو معروف ذات ماض طويل ، وقد عرفت معانيها كثيرا من التحول والتبدل ، حتى اننا لا نستطيع استعمالها استعمالا مجديا ، الا اذا اشرنا الى المعنى الذي استعملت فيه . ومن هنا نستدل على ان الجدل الحديث هو شيء منفصل تماما عن الجدل القديم ، ومن الخطأ الربط ـ بين الاثنين كما فعل الاستاذ مجاهد . فاذا قال الماركسيون ان جدل اليونان وضع بواسطة الحدس ، فانهم لا يكونون بذلك قد وجهوا اية طعنة الى جدلهم هم ، لان كلا الجدلين شيء منفصل عن الاخر .

يعود الكاتب بعد ذلك الى الكلام عن ميتافيزيكية ماركس ، فيتساوى عنده السير من الفكرة الى الوجود ، والسير من الوجود الى الفكرة ، تساوي بينهما ميتافيزيكية غير مبرهنة ويكون بذلك قد ساوى بكل بساطة بين اهم مشكلتين فلسفيتين متعارضتين تعارضا مطلقا وهما : ٢ ـ اما ان الوجود او الطبيعة هي الابدية واللانهائية والاولى ، والفكر والشعور هي المتفرعة عنها . ب ـ او ان الفكر والشعور هي الابدية واللانهائية والاولى ، والوجود او الطبيعة هي المتفرعة عنها .

وطالما تصارعت الفلسفات الكبرى حول هاتين المشكلتين محاولة الوصول الى حل ولكن عبثا . ثم ياتي الكاتب فيساوي بكل ارتياح بينهما وينهي المشكلة فيقول ان المشكلتين متساويتان على صعيد الميتافيزيك ، واننا لا ندري ..

اما قوانين الجدل الاربعة الرئيسية ، فيبدا الكاتب مناقشتها من الاسفل الى الاعلى بادئا بصراع الاضداد ، او ما يسمى بالتناقض ، وقد سنحت له فرص ذهبية اثناء مناقشته ، يستطيع معها النفوذ الى التناقض من ثغرات واسعة جدا ، ولكنه لم يفعل ، بل اتبع طريقته المعهودة في اللف والدوران والتساؤل الشكي ، يقول مثلا : « ان وحدة الاضداد عند الماركسيين هي شرطية زمانية متحولة نسبية ، وصراع الاضداد الطاردة بعضها بعضا بالتبادل مطلق ، مثله في ذلك مثل التطور والحركة فهما مطلقان .. ولكن كيف احتوى الشيء هذه الطبيعة القائمة على التناقض .. ولماذا يحدث في تلك اللحظة الجزئية وحدة الاضداد ان كان قانون التناقض هو القانون المطلق ؟ »

وتساؤل الكاتب في جزئه الثاني تساؤل ساذج ، فالتناقض يستدعي وجود الضدين ووحدتهما ، والا لما وجد هناك تناقض وصراع ... ان قانون التناقض هو القانون المطلق ، ولكن كيف يوجد التناقض اذا غاب احد الضدين ؟

ثم يتساءل الكاتب بعد ذلك : « واذا كانت هناك وحدة الاضداد فما هو العنصر الذي يحفظ هذه الوحدة ؟ الن يعد عاملا ثالثا داخلا بين النقيضين ؟ » .

والجواب الذي تضعه طبيعة وحدة الاضداد لهذا السؤال ، هو ان الشيء الذي يحفظ تلك الوحدة ليس عاملا ثالثا ، بل هو تساوي النقيضين من حيث القوة ، ولا نستطيع ان نطلق على هذا التساوي اسم عامل ثالث لانه ليس واقعة مادية كوجود الضدين ، بل هو صفة لوضعهما اكثر مما هو عامل مشارك في الوضوع .

يناقش بعد ذلك قانونا اخر من قوانين الجدل ، وهو ان التغير ناشيء عن تراكمات كمية تؤدي الى تحولات كيفية . وهنا ايضا سنحت للكاتب فرص جيدة للمناقشة العلمية ، ولكنه لم ينتهزها ، وفضل السير على طريقته الاولى ، فيقول : « كيف يكتسب التغيير الكمي العددي الرياضي ذلك المظهر الكيفي الدلالي المعنوي ؟ . لانني مهما تراكمت الارقام حتى تصل الى مليون ، فلن يتبادر الى ذهني ان هذا التراكم سيحدث لي تفاحا مثلا » .

الحقيقة يا استاذ مجاهد ان التغير الكمي العددي برأي الجدليين ليس شيئا معنويا فحسب ، بل ان له دلالة مادية ، فتراكم الارقام التي تدل على درجة الحرارة في الماء رقما فوق رقم ، تصل الى اللحظة الفاصلة التي يتحول بها الماء الى بخار ، فتراكم مائة درجة حرارية قد حولت الماء . وهكذا ترى ان تراكم الارقام قد احدث لك تفاحا .

اما القانون الثالث للجدل فيوافق عليه الكاتب دون مناقشة ليمر مرا سريعا على القانون الرابع وهو انه ما من ظاهرة الا وجوهرها الحركة والتغير ، فيتساءل : « وهل يرجع تغيرها الى تناقض قائم فيها .. » . ولا يلبث ان يضيع داخل فوضى افكار متهربا من المناقشة ولا نستطيع ان نميز الفكرة التي يناقشها من خلال تشتته ، واسئلته التي يطرحها .

. . . . .

وتحت عنوان « انطولوجيا ارسطيه » يقول الكاتب : « هل كان ماركس جدليا ساعة ان اكتشف قوانين الجدل ؟. نؤكد ان ماركس كان يعيش على حس المنطق بالشكل الارسطي .. ومن هنا كان جدله نفسه الثائر على المنطق الارسطي ، هو نفسه نتاج ذهن ارسطي » .

الى هنا تنتهي تنبؤات الكاتب العجيبة ! ولكن من اين لك هذا .. ما هي براهينك على ذهنية ماركس الارسطية اثناء تحدثه عن الجدل؟.. الا يمكن ان تكون ذهنيته الارسطية قد تحولت بالتدريج الى جدلية حتى لحظة فاصلة انتجت فيها الجدل ؟

اما قوله ان ماركس لا يبرهن الا بحس الرجل العادي ، فهذه حقيقة لان حس الرجل العادي برايه هو الفطرة التي تدخل عليها السفسطة.. فما الذي يدعونا للشك في وجود عالم خارجي عن الذات وقائم بذاته ، ما دامت كل الدلائل تشير الى العكس ؟ ، لماذا نشكك في كل شيء وباستطاعتنا ادراك الحقائق عن طريق الاحساس المجرد البسيط ؟

. . . . .

يقول الكاتب : « ان الحركة كما يقول الماركسيون لا تضاف الى المادة من الخارج بل هي نابعة من داخلها بحكم تناقضاتها الداخلية ، فاذا انحلت وحدة الاضداد ظهرت حالة جديدة للمادة قائمة على وحدة الاضداد ، ثم تحدث حالة نفي اخرى . ومن ثم يمكن ان تتحول المادة الى اشكال مختلفة على اساس حركتها . الا انه وفق المنهج نفسه ،

من رئاسة التحرير

* لم تتلق رئاسة التحرير هذا الشهر الا بضع مقالات تتناول بالدراسة مواد العدد الماضي من الاداب ، ومع ذلك فان المستوى المطلوب في هذه المقالات لم يكن متوفرا ، فلم نجد بدا من اصدار هذا العدد خاليا من باب « قرات العدد الماضي » المعتاد . ونحن نعلن بكل اسف ان التجربة التي حاولناها في الاعداد الثلاثة الماضية (بما في ذلك هذا العدد) لم تسجل حتى الان النجاح الذي كنا نتوقعه ونتمناه ، وسوف نعود ابتداء من العدد القادم الى نشر مقالات الادباء الذين تعهد اليهم رئاسة التحرير بكتابة هذا الباب كما كان الامر في السابق ، غير اننا لن نغلق الباب على اي قاريء يود ان يشارك في تحريره .

* سيتضمن العدد القادم من « الاداب » بعض الدراسات عن الشاعر الاستاذ بشاره الخوري (الاخطل الصغير) بمناسبة الاسبوع الذي سيقام تكريما له في هذا الشهر ، فاذا كانت لدى بعض الادباء دراسات عن هذا الشاعر المبدع ، فنامل ان يوافونا بها قبل الخامس عشر من هذا الشهر لتنشر في هذا العدد .

لا بد من وجود السكون مقابل الحركة داخل المادة ؟ والا لما امكن حدوث الحركة اصلا . »

والحركة قائمة حسب طبيعة الجدل ، من اجتماع الاضداد ، فكل حركة ناتجة عن وحدة ضدين لا تكون هي احدهما بل تكون نتاجا لهما .. فكيف يريد لها الكاتب ان تكون طرفا في التناقض مع السكون ؟

ويقول السيد مجاهد في مكان آخر : « ما هو الدليل على ان هذه المادة التي يتحدثون عنها قائمة خارج الذهن ؟ ، ولماذا لا يكون هذا وهما فرضه الذهن بحيث يضللني ويصور لي وجودا خارجيا للمادة ؟ بل لنفرض ان هذه المادة تكتسب كل صفة موضوعية ، فلماذا لا تكون هذه الموضوعية قائمة في حلم انسان ؟ » .

والكاتب هنا يلتقي مع اكثر الافكار الميتافيزيكية اغراقا في الرجعية ، والتي حاولت البرهنة على عدم وجود شيء خارج وعينا وتصوراتنا وافكارنا . فليس هناك واقع خارجي ، كما يزعمون ، بل ان كل شيء يرجع في نهاية المطاف الى التصورات الذهنية التي هي تصوراتنا نحن .. فاذا اسقطنا الشعور او كما يقال « الانا » ، فان كل الواقع يزول ، وهكذا لا يمكن للوجود او الطبيعة او المادة ان توجد خارج الشعور ومستقلة عنه .

وموقف الكاتب يشبه موقف انسان يحسب نفسه وحيدا ولا يوجد شيء اخر مستقل عنه .. وهو في سذاجته يفسر كل شيء باحواله النفسية ، ويعتبر شعوره مقياس كل حقيقة ، ثم يحصر الجنس البشري في حدود نهائية هي في الواقع حدود شعوره هو .

ولقد استطاع تطور العلم منذ قرون عديدة ان يصل الى اثبات تام لوجود وجوه من الواقع لم تطرأ من قبل ذهن على بشر . وهكذا اصبحت وجهة النظر الثابتة للعلوم اليوم هي اثبات ان العالم لا يحتاج في وجوده الى شعورنا ، واذا كان العلم يكتشف باستمرار خواص جديدة للمادة فذلك بداهة لان المادة لا توجد في شعورنا وحده بل خارجه .

فليس هناك من يشك في ان الميكروب كان يوجد حتى قبل اكتشافه ، اذ كانت توجد امراض اعتبرت حين ذاك مستحيلة الشفاء ثم اتاح لنا اكتشاف الميكروبات شفاءها . وليس هناك من يشك في وجود زمن لم تكن قد توافرت فيه على الارض مجموع الظروف اللازمة لوجود كائن حي .

وفي نهاية البحث وتحت عنوان « المجهول يقضي على كل معرفة » يتبنى السيد مجاهد اراء « اللاادرية » . فمن غير الامكان معرفة العالم وقوانينه ، ولا وجود للحقيقة الموضوعية ، ويرى أن العالم حافل (باشياء في ذاتها) لا يستطيع العقل ان يعرفها ابدا .

والحقيقة ان العالم وقوانينه يمكن معرفتها تماما ، وان معرفتنا بقوانين الطبيعة تكون معرفة صحيحة بعد تحقيقها بالتجربة وبالتطبيق ، وانها تدل على حقيقة موضوعية ، وليس ثمة بالعالم اشياء لا تقبل المعرفة ، بل هناك اشياء لم تعرف بعد ، وهي اشياء سوف تكشف وتعرف بواسطة العلم والتطبيق .

• • • • •

واخيرا ان الماركسية كغيرها من المذاهب الفلسفية الكبرى قابلة للنقد والمناقشة ، بل للتسفيه احيانا ، وكان عيب الاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد ، انه لم يوفق الى اكتشاف المطاعن الحقيقية التي كان يجب عليه اكتشافها ليحصل على نقد متكامل للماركسية خال من التناقض .

ونصيحة اخيرة اود ان اوجهها للكاتب وهي ان يترك غرامه بلعبة التفكير (كما يسميها) لانه لن يستطيع بذلك ان يصل الى نتيجة الا الضياع والشك والانقياد وراء دوامات لا قرار لها .

حمص — فراس السواح .

شركة لونغمانز غرين وشركاهم ـ لندن

تقدم الى مديري واساتذة المدارس الابتدائية والتكميلية والثانوية في البلاد العربية

احدث السلاسل المبسطة لتعليم اللغة الانكليزية .

The New Method Supplementary Readers.
The Practical Readers
Pleasant Books in Easy English
Longmans Simplified English Series.
The Essential English Library.

LONGMANS Abridged Books.
The Heritage of Literature series.
Plays by George Bernard Shaw
ENGLISH COURSES

مستودع التوزيع في العالم العربي
مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح ـ بيروت

حول قصة « زغرودة المطر »

بقلم عبد العزيز هلال

علق السيد خلدون الشمعة على قصتي « زغرودة للمطر » فكانت له مآخذ عليها سأحاول هنا ان ادرسها .

القصة ـ وليست لوحة كما قال ـ ليست شعبية لانها قصة قضية انسانية يعانيها الخاصة والعامة على السواء ، وليست تقريرية لان فنيتها اعطت موضوعها البسيط قيمة القصة ، وقيمة الكشف .. والناقد نفسه اعترف بهذا في نهاية عرض خواطره حول قصتي : « والقصة اخيرا تكشف عن قدرة فنية تجلت في الحوار بوجه خاص، وقد استطاعت ان تحمل ايحاءها من خلال لوحتها الواقعية ، الى حد ما » ـ يعني الى الحد الذي يقف عنده فهمه هو بالطبع . اما موضوع القصة فلم يكن « موقف الشاب الظامىء الى ملء الفراغ الخ...» . ان الفتاة هي الشخصية التي تستقطب الموضوع ، انه موقف الفتاة ، وهذا واضح جدا ، ولذا كان تعجبي . وهذا يقودنا لرد تهمة مضحكة في الواقع القاها السيد في وجهنا : « والقصة تبدأ في الحقيقة (!) منذ ان دار الحديث في المخبر ، ما بين الشاب والفتاة . لذلك فان ما يقارب الصفحة منها ، يظل اشبه بمقدمة طفيلية لتبرير القصة .. الخ...» ذلك لانه جعل الشاب ـ هكذا برغمي ورغم الموضوع ـ هو الموضوع او الشخص الاول على الاقل . ولو ادرك ان شخصية الفتاة كنموذج انساني معين في مجتمعنا ـ نموذج « الحرمه » في التعبير الشامي ـ هي محل الكشف والعرض في قصتنا ، لو ادرك هذا لما فاته ان يرى فيما سماه (مقدمة طفيلية) مقدمة من الصلب ، مقدمة ضرورية لا بد منها .. فامثال هذه الفتاة لا تكاد تجد الفرصة للتحدث الى الرجل الا في مثل هذه الضرورة : ان تكون مجبرة على التحدث اليه وبطريقة او مناسبة لا تستهدفها للنقد والتجريح من قبل الاخرين .. وان دهشتها الدائمة في المخبر من الاشياء التي لا تدهش شخصا مثل السيد خلدون ، لا تعتبر خارجة عن موضوع القصة .. دهشتها جزء لا يتجزأ من عملية الكشف الذي تقوم به القصة ... وهذه الدهشة، والاهتمامات الساذجة من قبل الفتاة تعطي القصة صفتي الواقعية الخارجية والداخلية في آن واحد وبنفس الالفاظ ، دونما حاجة لعملية تذبذب بين داخلها وخارجها .. وفي رأيي ان القيمة الفنية الحقيقية لقصتي تتمثل في هذه الملاحظة بالذات . فاذا كنت لم تجد فيها اي عمق نفسي فلانك لم تنظر الى القصة الا من ناحية خارجية .. فكنت انت خارج القصة ، خارج الصراع .

ولننظر الان في مدى فهم الناقد لفن القصة عامة ، فيما اثاره من غبار حول التشبيه في « كانما » ، فقال بتدخل الكاتب ، وبان التازم النفسي هو في الواقع تازمي انا لا تازم البطل ! اليست القصة يا سيد خلدون ـ القصة كفن ـ هي نتاج تازم عند الكاتب قبل ان يفجر هذا التازم على الورق ؟ ماذا تكون عندئذ اذا لم تكن هكذا ، شانها شان مقطوعة الموسيقى ، قصيدة الشعر ، لوحة الفنان او تمثاله ؟

الست القائل في مقدمة مقالتك انك تبحث عن قصة تسجل توترا فنيا عاليا الخ...؟

وبماذا عنيت هذه القصة اذن الا بانسانة ـ كوجود راهن يعوزه الاستقرار ؟ (هذا مطلبك بالحرف) .

ان المواقف اليومية العادية التي تتكرر على نحو دائم لا تقل غنى انسانيا وجوديا عن المواقف الفلسفية التي يختارها اختيارا لابطالهم امثال كامو وسارتر وفولكنر .

واخيرا كان يجب ـ على الاقل ـ ان تتاكد من هذه الافكار التي عرضت لك حينما كنت تطالع قصص العدد الذي حاولت نقده . وان الذي يؤمن بمفاهيم معينة يخون نفسه ويخون عمله ويخون القارىء والكاتب حين يطرحها جانبا ، لاي سبب ، مهما كان .. حتى ولو كان محاولة الظهور .

عبد العزيز هلال

السحرتي و « اغاني العودة »

بقلم مزيد الظاهر

الاستاذ مصطفى السحرتي ناقد بارع ، عرف برهافته العميقة في تذوق الشعر الجيد ، والقسوة ـ اكثر مايمكن ـ على الشعر العقيم المجدب ، وتلك خاصية لمسها كل من قرأ بعض تآليفه ومقالاته .

الا ان الذي اثارني وجعلني اتامل حانقا متعجبا هو ماكتبه الاستاذ السحرتي في باب « النتاج الجديد » (1) عن ديوان الشاعر علي هاشم رشيد المسمى « اغاني العودة » !

قرات المقال بامعان فالفيته محض اطراء زائف ، وتقييم مفتعل مفضوح ونثر بارد لبعض قصائد المجموعة حتى لقد بت اعتقد ان النقاد امسوا محرق متعنت في نقده واما مجامل مداح وقلما وجدت ناقدا يجري في شرايينه دم النقد الموضوعي البناء الذي لايعرف للمجاملة طعما ولا للضغينة او الحقد دروبا ودهاليز ، واغلب ظني ان الاستاذ السحرتي

(1) راجع الاداب العدد ٢ شباط « فبراير » ١٩٦١

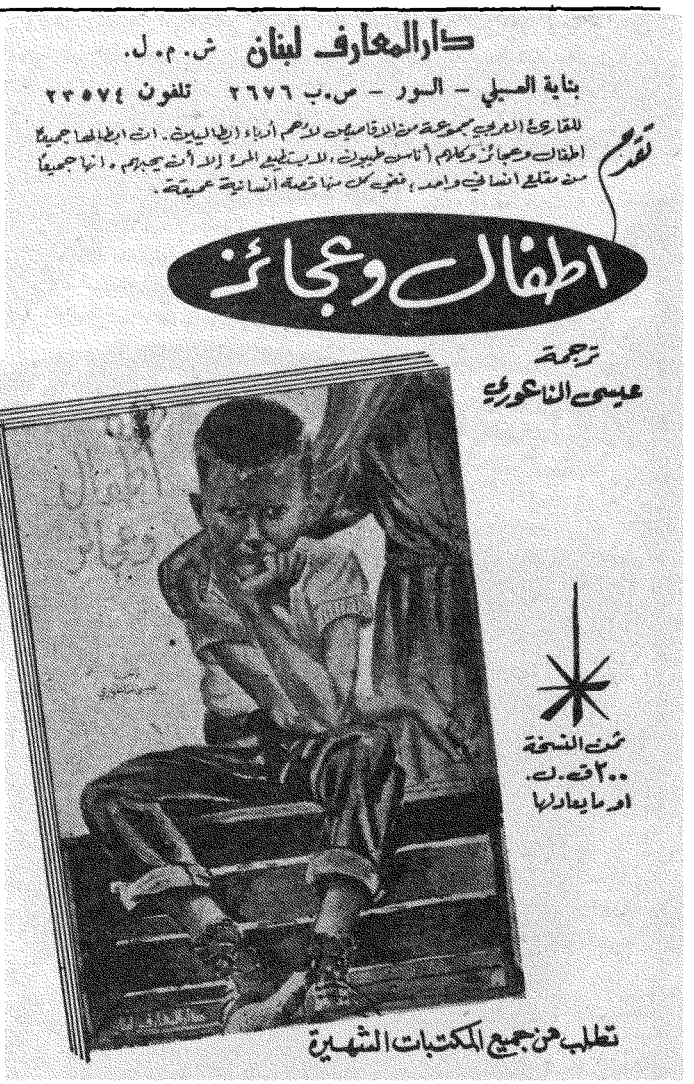

اخ مخلص لصاحب المجموعة حاول ان يعبر عن اخوته واخلاصه له فكتب هذا « الاطراء » البارد العروق ، ان اشد مايقتل النقد في وطننا ويجدبه هو هذا « المد الاخوي المجامل » الذي كثيرا مانجده يتحول الى « معاول هدم » ترعب النقد وتشله !!..

يقول الاستاذ السحرتي في احدى جوانب « اطرائه » العميق ، ان قصيدة « رسالة من الكويت » قصيدة رائعة وهي في رأيه قلادة العقد في هذا الديوان ، وانها تمثل الشعر البديع المتحرر من القيود وانها اثرت فيه كل التاثير لانها قد جاءت في سبيكة متقنة الصنع !

معايير اطلقت جزافا اذ ليس ثمة دليل يشدها واظن ان الاستاذ السحرتي يعلم ذلك جيدا بيد ان « نطاق المجاملة » حال دون انطلاق كلمة « النقد » الحقة !

ان رسالة من الكويت ليست قصيدة في نظر ناقد القرن العشرين المجدد اذ لاصور فيها ولا دفء وتلاحم الصور وعمقها اساس الشعر الجيد ان القصيدة محض سرد صحفي هزيل او قل ما هي الا « ثرثرة عاطلين في مقهى هرم » :

وتدور معركة الحياة
ولا تزال ليومنا هذا تدور
ورأيت كرملنا الحبيب يضج بالمستعمرين
اين الذخيرة ؟ لا ذخيرة بين أيدي الثائرين
نفدت وجيش المجرم المحتل جيش الانكليز
يعطي الخصوم ما يطلبون (٢)
وله بأبواب المدينة وقفة المتامرين
فلا خروج ولا دخول
كيما يباد الشعب في بلدي الحبيب

امن « الموضوعية البناءة » في النقد اعتبار هذا النمط « الصحفي الموزون » مع الشعر الرائع من السبائك المتقنة الصنع ، من الدرر الزاهية في نحور الحسان !!..

اذا كان هذا الشعر من الدرر فماذا نقول في شعر السياب والملائكة وسليمان وقباني سنقول انها « تراتيل الهية » رائعة .. وقد نقول اعظم من هذا واجل !.. ان قصيدة رسالة من الكويت اذا قلنا عنها انها محض اصداف فارغة كان قولنا من قبيل « الاطراء والمدح » .

لست ادري كيف استطاع الاستاذ السحرتي ان يطلق مثل هذه المعايير الخطيرة دون ان يتحرج او ينفعل ؟!

ان أي قاريء ملم ببعض مبادىء « التذوق الجمالي » يستطيع ان يقول لك ان هذا النمط من الشعر يستاهل الحرق والتمزيق لا النشر والرواج ، اذ ان الصور معدومة والخيال مهيض الجناح والتجربة الشعورية باردة ، والعاطفة المشبوبة لا اثر لها ، اذن لم يبق الا الوزن والقافية ، والاستاذ السحرتي « ليس مني ان حسب الشعر الفاظا ووزنا » .

واود ان اوضح للاستاذ السحرتي فكرة مغلوطة تعصب لها واخذ الشاعر عليها في « اطرائه » اذ ظن ان الحديث المطلق ظاهرة اساءت الى شعره ولم تعطه زخما يعذبنا ويستثير دموعنا « وان كان هذا الحديث المطلق مقبولا من شعراء العربية الذين لم يعايشوا تاريخ فلسطين ولا احداثها وكوارثها وانتصاراتها ، فانه يؤخذ على شاعر مثل علي هاشم رشيد ، الذي يعرف هذا التاريخ معرفة واعية ويعرف اشخاص ابطاله معرفة وثيقة وقد حدثنا عن طائفة من احداث هذا البلد التاعس فردية وعامة حديثا كاد يستثير دموعنا ، فما باله لم يترجم بالشعر عن هذه الاحداث والشعر قادر على ان يعبر عنها في قوة وتاثير بالغين » .

ان الشعر الرائع يا استاذنا السحرتي ، هو رصد لحظة شعورية معمقة ، والانفعال معها من الداخل ، ومن ثم سكب رحيقها العبق في قالب من اللفظ المترف والصور الجديدة الثرة .

وليكن واضحا ان الشعر المعطاء ابعد مايكون عن سرد « كومة » من الحوادث التاريخية والا استحال الى « هرطقة » سياسية بائرة ، و « نظم » مجدب مقيت ! ، ولذا فقد عيب على « احمد شوقي » في قصيدته « همت الفلك واحتواها الماء ... الخ » اغراقه القصيدة بفيض

(٢) هذا الشطر قلق الوزن واظن ان ثمة خطأ مطبعيا وقع فاقلقه .

دار المعارف لبنان ش.م.ل.
بناية العسيلي - السور - ص.ب ٢٦٧٦ تلفون ٢٣٥٧٤
للقارىء العربي قصة رجل يحاول القضاء على عصابة تتاجر بالمخدرات ويحاول الاجرام ، انها من قصص المغامرات السريعة الشديدة المثيرة.
تقدم
رصاصة في الليل
تأليف
شارلي ولز

ثمن النسخة ٥٠٠ ف.ل. او ما يعادلها
تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

دار المعارف لبنان ش.م.ل.
بناية العسيلي - السور - ص.ب ٢٦٧٦ تلفون ٢٣٥٧٤
للقارىء كتاب مع الشباب فيه تناول مشاكلهم وحيرته وشاكله، وفكر تربيته وتعاليمه في خمسة فصول تحليلية نفسية وتصويرية موضوعية باعتباس الفرد مختصر واختبار الحياة من المؤلف شاباً ومربياً والمرشد اجتماعياً مسؤولاً ...
تقدم
الحياة والشباب
انه كتاب للشباب ولأولياء امورهم
تأليف
واصف البارودي
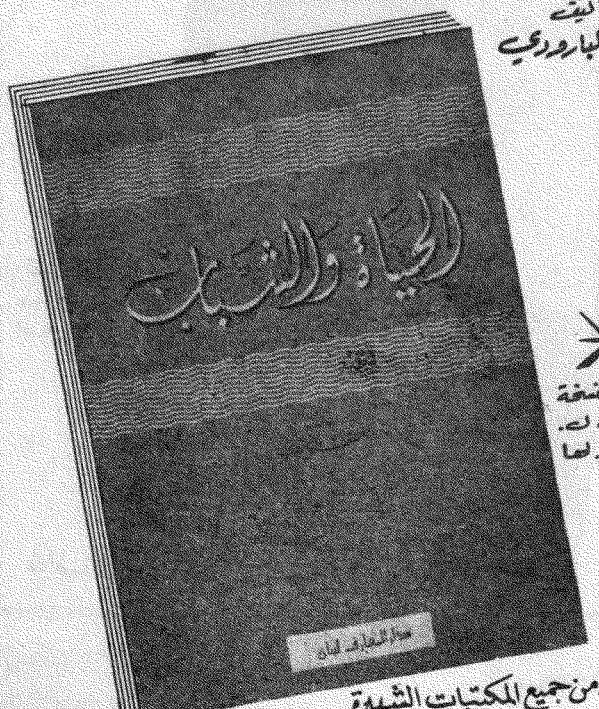

ثمن النسخة ٣٠٠ ف.ل. او ما يعادلها
تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

غزير من الحوادث التاريخية الغابرة ، مما جعلها تتحول الى محض « نظم » فارغ ! كما ان الاستاذ السياب لو عمد الى اغراق قصيدته الخالدة « بور سعيد » بطنطنة الحوادث التاريخية وجعجعتها ، لاخرج قصيدة كسيحة لاروح فيها ولا دفء بيد انه غمس الريشة بدم خياله الفائر فطلع على القراء العرب بقصيدة بلغت الذروة في السمو والابداع.

هذا هو الشعر السامق المعطاء ، واظن ان لا مؤاخذة على الشاعر علي هاشم رشيد حين نجده يتحدث حديثا مطلقا عن « المأساة » في اكثر القصائد التي حوتها « اغاني العودة » . هذه المجموعة التي ابرز مانلمسه فيها « عقم الخيال وموت العاطفة وجمود الرعشة الفنية » فجاءت زاخرة باشباح الاجترار ، والتقريرية والسرد السطحي المبتذل، والا فما هذا الذي يقوله السيد علي هاشم رشيد :

اني ارى ذاك الصباح أراه رغم المفترين
أراه رغم الظلم يعصف من شمال أو يمين
اني أراه أرى جموع الزاحفين العائدين
وانا وانتم في الجموع العائدين
اذ ذاك تبتسم الحياة ونجتني ثمر الصمود
هذا الصمود هذا الطريق الى الخلود لكي نعود
ومع الشروق شروق عزم العاملين
الباذلين الروح للوطن الثمين

اهذا شعر يستحق ان تضمه مجموعة .. أرادت ان تجسد لنا المد العربي الثوري الذي يجتاح الحدود والسدود ؟ ام قوله في موضع اخر :

جاء البشير بيوم عودتنا الى ارض الجدود
يوم نحقق فيه وحدتنا ونكتسح السدود
ونزيل باسم الحق هاتيك المعاقل والحدود
ونطهر الارض الحبيبة من أكاذيب اليهود

والنازح المظلوم رغم الخصم للعليا يعود

رحم الله الشعر الرفيع ، لقد أماته قوم « نظامون » لاشغل لهم سوى اجترار المعاني وصبها في قالب هزيل يبعث على الغثيان والدوار !... ان هذا الشعر لو نشر في صحيفة يومية مغمورة لقسوت عليه فكيف بي اجده ينتظم في مجموعة تحمل اسما اكبر منها واعذب وتنقل بعض نماذجه في مجلة راقية كالاداب !!..

ان المجموعة ليست ترانيم للعودة ، ولا هي قوة دافعة جياشة للنصر؟ انما هي سيب من افضال سليمان العيسى المسكين وصدى اصفر معروق للرديء من قصائده ، ولا ابالغ اذا قلت ان قصيدة سليمان العيسى في « يافا » ومطلعها :

يافا خلعت عن الجراح ضمادي انا عائد لاضم عطر بلادي

تزري بكل قصائد اغاني العودة و ب « الف » مجموعة على شاكلتها !

لقد مل القارىء العربي من هذا الشعر الشاحب الكسيح الذي يدور في حلقة مفرغة يطفو عليها الزبد وتعربد في اجوائها اشباح التقريرية وعقم الخيال وجمود الرعشة الفنية .

ولا يسعني بعد هذا الا ان اقدم تحياتي واشواقي الى الاستاذ السحرتي الذي آمل منه ان يتقبل هذا النقد العابر بصدر مفعم بالود والاخاء ، وآمل منه ايضا ان لايلجا الى « الاطراء والمجاملة » عند نقده الاثار الفنية فتلك آفة تميت نقدنا الغض وهو لما يزل رضيعا يحبو !!

وان كان لي شيء اخر اقوله ، فهو « كلمة عتاب » قاسية ارفعها الى الاستاذ علي هاشم رشيد على عجلته البادية في طبع هذه المجموعة التي لو اعاد النظر في بعض ماتضمه فحذف القصائد السقيمة ونقح بعض القصائد المصابة بالعطب والكدمات ، واضاف اليها شيئا جديدا مما سينظمه في المستقبل ، لانتج مجموعة قد تقف امام الشعر المقروء !..

بغداد ـ كلية الاداب **مزيد عبد العزيز الظاهر**